# الفصل الرابع

اعلم ان بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه (1) وقال : كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه ؟

ونحن نجيب – بعون الله تعالى – عن هذه الشبهة بجوابين مجمل (2) ومفصل أما المجمل فيتلخص في شيئين :

أحدهما : أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام والكلام مركب من كلمات وجمل يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض (3).

ثانيهما : أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة إما متصلاً وإما منفصلاً (4) وليس لمجرد شبهات

(1) أي السكوت فلا نتكلم عنهم 0

(2) المجمل في اللغة : هو المبهم من أجمل الأمر إذا أبهم ويطلق على المجموع من أجمل الحساب إذا جمع وجعل جملة واحدة قال الفيومي رحمه الله : " أجملت الشيء اجمالاً : جمعته من غير تفصيل " 0

انظر أثر الإجمال في الفقه للدكتور الحفناوي ص 8 وبيان ما هو مجمل لعبدالله الشنقيطي ص 9.

(3) سبق بيان ذلك في القاعدة الرابعة من قواعد الأدلة 0

(4) المتصل ما لا يستقل بنفسه كالاستثناء والشرط والصفة من النعت والبدل والحال.

أما المنفصل فهو ما يستقل بنفسه كالحس والعقل والشرع .

=

يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفى ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وأما المفصل فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره .

ولنمثل بالأمثلة التالية فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي (1) عن بعض الحنبلية أنه قال : إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء: " الحجر الأسود يمين الله في الأرض " " وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمـن " " وإني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن "

نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ص (398) جـ (5) : من مجموع الفتاوى وقال : " هذه الحكاية كذب على أحمد " 0

المثال الأول :

" الحجر الأسود يمين الله في الأرض (2) "

والجواب عنه : أنه حديث باطل لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (3) : " هذا حديث لا يصح " 0

---

= ملاحظة : انظر المثال على ذلك فيما سيأتي في المثال الثاني عشر من كلام المؤلف وما ذكرناه في الحاشية .

(1) ذكره في الإحياء (1/179) ، وانظر شرح ذلك في اتحاف السادة المتقين (2/139) 0

(2) قالوا : فظاهر الأثر أن الحجر نفسه يمين الله في الأرض وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد . وقد ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة (3/174) ان ابن الفاعوس الحنبلي ت سنة 521هـ كان يسمى بالحجري لأنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة وسننقل في الملحق نص كلامه 0

والرد على المعطلة من وجهين ذكرهما المؤلف :

أ- عدم صحة الحديث وسيأتي ان بعض أهل العلم قد صححه .

ب- على فرض صحته فقد قيده في الأرض ولم يطلق وسيأتي انه قد أطلق في بعض الأحاديث ومع ذلك فانه لا يدل على ان الحجر صفة لله 0

(3) العلل لابن الجوزي (2/575) ، وانظر تلخيص العلل للذهبي ص 191 0

وقال ابن العربي : " حديث باطل فلا يلتفت إليه " ( 1 )

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت (2) ا0هـ

وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه " .

---

(1) نقله المناوي في فيض القدير (3/409) .

(2) الفتاوى (6/397) .

تخريج الحديث :

الحديث روى مرفوعاً وموقوفاً .

أما المرفوع فروى من طرق :

I- جابر بن عبدالله :

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (6/328) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق كما نقله الزبيدي في اتحاف السادة المتقين ( 2/129) .

ورواه أيضاً ابن عدي في الكامل (1/342) وقال : انه من رواية اسحاق بن بشر وهو في عداد من يضع الحديث ا0هـ

ورواه أيضاً الديلمي في الفردوس (2/159) .

وقال الذهبي في تلخيص العلل ص 191 : فيه اسحاق بن بشر - كذاب ا0هـ

وقال خلدون الأحدب في زوائد تاريخ بغداد (5/321) ان الحديث موضوع .

II- عبدالله بن عمرو :

رواه الحاكم في المستدرك (1/628) .

وقال العراقي في تخريج الإحياء (1/179) : حديث الحجر يمين الله في الأرض ، الحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو ا0هـ

ورواه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه (4/221) والطبراني في المعجم الأوسط (1/178) من طبعة دار الحرمين ، و( 1/337) من طبعة الطحان 0

وقال الطبراني : لم يروه عن عطاء عن عبدالله بن عمرو إلا عبدالله بن المؤمل ا 0هـ

وانظر مجمع البحرين في زوائد المعجمين (3/233) =

## لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " والمشهور يعنى في هذا الأثر

---

= جـ-عن أنس :

رواه الديلمي في الفردوس (2/159)

وروى موقوفاً أيضاً من طريق ابن عباس 0

فقد رواه ابن قتيبة في غريب الحديث (2/96) ، والأزرقي في تاريخ مكة (1/324) ،

وقال البوصيري في اتحاف المهرة (4/75) : رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر موقوفاً باسناد الصحيح ا 0هـ

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية من النسخة المسندة (2/37) هذا موقوف صحيح ا 0هـ

وفي حاشية النسخة المجردة من الاسناد (1/340) ، قال : هذا موقوف جيد ا 0هـ

وعزاه العجلوني في كشف الخفاء (1/349) إلى القضاعي والحارث ابن أبي أسامة ولم أره في بغية الباحث ولا الاتحاف ولا المطالب .

وقد صحح الحديث موقوفاً السخاوي كما نقله عنه ابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث ص 77 0

وقال العجلوني : الحديث له شواهد فهو حديث حسن وإن كان ضعيفاً بحسب أصله ومثله مما لا مجال للرأي فيه ا0هـ

والخلاصة أن الحديث صحح موقوفاً ومثله لا مجال للرأي فيه .

وأما مرفوعاً فقد اختلف فيه على أقوال :

1- أنه صحيح كما نقله العراقي عن الحاكم وهو قول ابن خزيمة لأنه في صحيحه .

2- أنه حسن كما هو قول العجلوني .

3- انه باطل وبه قال ابن الجوزي وابن العربي .

4- ان اسناده لا يثبت وهو قول ابن تيمية 0

5- انه موضوع وهو قول خلدون الأحدب .

6- انه ضعيف وهو قول الألباني في السلسلة الضعيفة (1/257)

وقال الهيثمي في المجمع (3/245) : وفيه عبدالله ابن المؤمل وثقه ابن حبان وقال : يخطى وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح ا0هـ .

وانظر الكلام على الحديث في :

حاشية الصباغ على الأسرار المرفوعة لملا علي قاري ص 134 0

وأسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد الحوت ص 17 0

إنما هو عن ابن عباس قال : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " (1) ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه فإنه قال : " يمين الله في الأرض " ولم يطلق (2) فيقول : " يمين الله " وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق ثم قال : " فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه " وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ولكن

شـبه بمن يصافح الله فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عاقل " ا0هـ ص (398) مجلد (6) مجموع الفتاوى .

---

(1) سبق ان ذكرنا ذلك ومن صححه ، وانظر الفتاوى (5/398) .

(2) وقد أطلق في حديث آخر من رواية عبدالله بن عمرو وقد رواه الحاكم وابن خزيمة كما سبق ولفظ الحديث عند ابن خزيمة :

ثنا الحسن الزعفراني ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عبدالله بن المؤمل ، سمعت عطاء ، يحدث عن عبدالله بن عمرو :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يأتي الركن يوم القيامة أعظم من أبي قبيس له لسان وشفتان ، يتكلم عن من استلمه بالنية ، وهو يمين الله التي يصافح بها خلقه " ا0هـ

ولا شك انه مع الاطلاق لا يدل على ان الحجر صفة لله فهو من المضاف المنفصل عنه كالبيت والناقة فيكون مخلوقاً ، أو يحمل المطلق على المقيد .

## ملحق المثال الأول

ذكرنا أننا سننقل نص كلام الحافظ ابن رجب في ترجمة ابن الفاعوس وهذا نص كلامه :

وقال : كان أبو القاسم بن السمرقندي يقول : إن أبا بكر بن الخاضبة كان يسمى ابن الفاعوس الحجرى لأنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة .
قلت : إن صح عن ابن الفاعوس أنه كان يقول : الحجر الأسود يمين الله حقيقة فأصل ذلك : أن طائفة من أصحابنا وغيرهم نفوا وقوع المجاز في القرآن ولكن لا يعلم منهم من نفي المجاز في اللغة (1) كقول أبي إسحاق الإسفراينى ولكن قد يسمع بعض صالحيهم إنكار المجاز في القرآن فيعتقد إنكاره مطلقاً ويؤيد ذلك : أن المتبادر إلى فهم أكثر الناس من لفظ الحقيقة والمجاز : المعاني والحقائق دون الألفاظ .
فإذا قيل : إن هذا مجاز فهموا أنه ليس تحته معنى ولا له حقيقة فينكرون ذلك وينفرون منه ومن أنكر المجاز من العلماء فقد ينكر إطلاق اسم المجاز لئلا يوهم هذا المعنى الفاسد ويصير ذريعة لمن يريد جحد حقائق الكتاب والسنة ومدلولاتهما .
ويقول : غالب من تكلم بالحقيقة والمجاز هم المعتزلة ونحوهم من أهل البدع وتطرفوا بذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه فيمنع من التسمية بالمجاز ويجعل جميع الألفاظ حقائق ، ويقول : اللفظ ان دل بنفسه فهو حقيقة لذلك المعنى وإن

دل بقرينة فدلالته بالقرينة حقيقة للمعنى الآخر فهو حقيقة في الحالين .

---

(1) سبق التعليق على هذا الكلام .

وإن كان المعنى المدلول عليه مختلفاً فحينئذ يقال : لفظ اليمين في قوله سبحانه وتعالى : ( 39/67والسماوات مطويات بيمينه ) حقيقة وهو دال على الصفة الذاتية . ولفظ اليمين في الحديث المعروف : " الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه فكأنما صافح الله عز وجل "

وقيل يمينه يراد به مع هذه القرائن المحتفة به – محل الاستلام والتقبيل 0

وهو حقيقة في هذا المعنى في هذه الصورة وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلاً بل دلالته على معناه الخاص قطعية لا تحتمل النقيض بوجه ولا تحتاج إلى تأويل ولا غيره .

وإذا قيل : فابن الفاعوس لم يكن من أهل هذا الشأن – أعني : البحث عن مدلولات الألفاظ ؟

قيل : ولا ابن الخاضبة كان من أهله وإن كان محدثاً وإنما سمع من ابن الفاعوس ، أو بلغه عنه إنكار أن يكون هذا مجازاً ، لما سمعه من إنكار لفظ المجاز فحمله السامع لقصوره أو لهواه على أنه إذا كان

حقيقة لزم أن يكون هو يد الرب عز وجل التي هي صفته وهذا باطل والله أعلم .

المثال الثاني : (1)

" قلوب العباد بين أصبعين (2) من أصابع الرحمن "

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه مسلم (3) في الباب الثاني من كتاب القدر عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " 0

وقد اخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث (4) وقالوا ان لله تعالى أصابع

---

(1) هذا هو المثال الثاني الذي أورده أهل التعطيل على أهل السنة بأنهم أولوا ظاهر هذا الحديث فقالوا :

I- ان ظاهر هذا الحديث ان قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماسة وأن تكون أصابع الله داخل أجوافنا وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد .

II- ظاهر الحديث ان لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد وسوف يرد المؤلف على زعمهم هذا .

(2) قال المؤلف : أصبع : مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات و العاشرة أصبوع كما قيل

وهمزأ نملة ثلث وثالثه **** التسع في أصبع واختم بأصبوع

أصبوع بضم الهمزة

و انظر الغرر المثلثة والدرر المبثثة للفيروز آبادي ص 266 .

(3) انظر شرح مسلم للنووي (16/204 ).

(4) ظن شراح هذا الحديث ان ظاهر الأصبع الجارحة وهي على الله محال إذ لو كانت جارحة وأعضاء لكان كل جزء منه مفتقراً إلى الآخر فتكون جملته محتاجة وذلك يناقض الألوهية وحكوا أن فيها مذهبين :

الأول : التفويض 0

الثاني : التأويل بحسب ما يليق 0

قال القرطبي في المفهم (6/672) :

وقد تأول بعض أئمتنا هذا الحديث فقال : هذا استعارة جارية مجرى قولهم : فلان في كفي وفي قبضتي يراد به : أنه متمكن من التصرف فيه والتصريف له كيف شاء ،

حقيقية نثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس

السماء ولا الأرض ويقال : بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما (1) فقلوب بنى آدم كلها بين أصبعين

---

= وأمكن من ذلك في المعنى مع إفادة التيسير أن يقال : فلان بين إصبعي أصرفه كيف شئت يعنى : أن التصرف متيسر عليه غير متعذر وقال بعضهم : يحتمل أن يريد بالإصبع هنا النعمة وحكى أنه يقال : لفلان عندي إصبع حسنة أي نعمة كما قيل في اليد فإن قيل : فلأي شيء ثنى الإصبع ونعمه كثيرة لا تحصى ؟ قلنا لأن النعم وإن كانت كذلك فهي قسمان نفع ودفع فكأنه قال : قلوب بني آدم بين أن يصرف الله عنها ضراً وبين أن يوصل إليها نفعاً ا 0 هـ

وانظر شروح مسلم لكل من :

النووى (16/204) ، الأبي والسنوسي (7/88) ، والدبياج للسيوطي (6/18) 0

(1) وقد رد المؤلف على أقوالهم بأنه لا يلزم من إثبات الأصبع ما ذكروه . ويقال : سترة المصلي بين يديه وليست مباشرة له ولا مماسة له 0

فإذا كانت البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض وهو بكل شيء محيط 0

وقد دل السمع والعقل على أن الله تعالى بائن من خلقه ولا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه وأجمع السلف على ذلك وهذا هو الوجه الأول .

ونقول على الوجه الثاني : إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسداً وحينئذ يكون مراداً قطعاً فإن لله تعالى أصابع حقيقية تليق به ولا تماثل أصابع المخلوقين

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : " جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول : أنا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات =

## من أصابع الرحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول (1) 0

---

= مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون " هذا لفظ البخاري في تفسير سورة الزمر .

فأى معنى فاسد يلزم من ظاهر النص حتى يقال إنه غير مراد ؟

(1) قال شيخ الإسلام في التدمرية ص 73:

وأما قوله : { قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن } فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ولا مماس لها ولا أنها في جوفه ولا في قول القائل : هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه وإذا قيل : { والسحاب المسخر بين السماء والأرض } لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض ا 0هـ

المثال الثالث :

" إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن "

والجواب : أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند (1) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا أن الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نفس ربكم من قبل اليمن " قال في مجمع الزوائد (2) : رجاله رجال الصحيح غير شبيب (3) وهو ثقة قلت : وكذا قال في التقريب (4) عن شبيب : ثقة من الثالثة وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير (5) 0

وهذا الحديث على ظاهره والنفس فيه اسم مصدر ( 6) نفس يُنفِّس تنفيساً

---

(1) 0(2/541)

(2) للهيثمي (10/59) 0

(3) أي شبيب بن نعيم أبي روح 0

(4) لابن حجر (1/346) وقال : أخطأ من عده في الصحابة ا0هـ

(5) انظر التاريخ الكبير (4/231) 0

وانظر ترجمته في تهذيب الكمال للمزي (13/371) وتهذيب التهذيب لابن حجر (4/309) .

والحديث الذي ذكره المؤلف رواه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير (7/52) من حديث سلمة بن نفيل ، ورواه البزار في مسنده (9/150) وقال وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه بهذه الألفاظ إلا سلمة بن نفيل وهذا أحسن طريقاً يروى في ذلك عن سلمة ورجاله رجال معروفون من أهل الشام مشهورون إلا إبراهيم بن سليمان الأفطس ا0هـ

وانظر ترجمة سلمة في الإصابة (3/130)، وتهذيب الكمال للمزي (11/323) 0

(6) اسم المصدر اصطلاحاً هو : اسم مساو للمصدر في الدلالة على المعنى المجرد دون تقيد بزمان ولكنه يخالفه بنقص بعض حروفه لفظاً وتقديراً دون تعويض مثل : الفعل " أعطى " مصدره الأصلي : " إعطاء " فإذا قلنا " عطاء " كان مساوياً للفظ " اعطاء " وينقص عنه الهمزة في أوله دون أن يعوض منها بشيء لفظاً وتقديراً فإن كان النقص في اللفظ فقط دون التقدير فاللفظ مصدر وليس باسم مصدر مثل =

مثل فرح يفرج تفريجاً وفرجاً هكذا قال أهل اللغة كما في النهاية (1) والقاموس (2) ومقاييس اللغة (3) قال في مقاييس اللغة : " النفس كل شيء يفرج به عن مكروب " فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار فيهم نفس

= : " قاتل قتالاً " والأصل : قيتالاً خلا اللفظ " قتالاً " من " الياء " ولكنها مقدرة وإن خلا الحرف لفظاً وعوض منه بشيء فهو مصدر وليس باسم مصدر فتقول في : " وعد " المصدر الأصلي " وعداً " أو " عدة " فقد حذفت " الواو " وعوض منها بالتاء المربوطة في الآخر فالمصدر الذي حذف منه حرف ولم يعوض منه بشيء يسمى : اسم مصدر مثل : " كلاماً " وتكلماً ا0هـ

انظر المعجم المفصل في النحو العربي للدكتوره عزيزة فوال .

(1) النهاية لابن الأثير (5/93) 0

(2) للفيروز آبادي ص 745 ، وشرح القاموس للزبيدي (4/259) 0

(3) لابن فارس (5/460) 0

المثال الرابع :

قوله تعالى : } ثم استوى إلى السماء { [ البقرة : 29]

والجواب : أن لأهل السنة في تفسيرها قولين :

أحدهما : أنها بمعنى ارتفع إلى السماء وهو الذي رجحه ابن جرير (1) قال في تفسيره بعد ان ذكر الخلاف : ( وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : { ثم استوى إلى السماء فسواهن } [ البقرة :29] علا عليهن وارتفع بقدرته وخلقهن سبع سموات ) ا 0هـ

وذكره البغوى في تفسيره (2) قول ابن عباس (3) وأكثر مفسري السلف

---

(1) في تفسيره (1/192) وقال :

والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : { ثم استوى إلى السماء } الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال له : زعمت أن تأويل قوله { استوى ] : أقبل أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها ؟ فان زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير . قيل له : فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ثم لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله .ا 0هـ

وقال السمين في الدر المصون (1/171) ان من معاني استوى : علا وارتفع واستشهد بقول الشافعي :

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة **** وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وكذا قال القرطبي في تفسيره (1/254) 0

واختار هذا القول الربيع بن أنس كما حكاه ابو حيان في البحر المحيط (1/280) وقدم هذا القول ابن عطية في تفسيره ( 1/223) ، والثعالبي في الجواهر (1/58) والآلوسي في تفسيره (1/215) .

(2) (1/59) 0

(3) وضعف هذا النقل القرطبي في تفسيره (1/254) وما هو بضعيف فقد نقله جمع كثير وانظر الوسيط للواحدي (1/112)0

وذلك تمسكاً بظاهر لفظ { استوى } وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل .

القول الثاني : أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة (1) والبغوى في تفسير سورة فصلت (2) قال ابن كثير : " أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا ضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بإلى " قال البغوي : " أى عمد إلى خلق السماء" .

وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره وذلك لأن الفعل " استوى " اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء (3) فانتقل إلـى معنى يناسب

---

(1) (1/101) 0

(2) (4/109) 0

واختار هذا القول جمع من المفسرين منهم :

السمين الحلبي (1/172) ، والنسفي (1/76) والخازن (1/34) ، وصديق حسن خان (1/120) ، وابن الجوزي (1/58) .

وانظر الأقوال الأخرى التي خالفت منهج السلف في :

تفسير الرازي (1/143) ، والبحر المحيط لأبي حيان (1/280) وبحر العلوم للسمرقندي (1/106) ، والسراج المنير للشربيني (1/43) وحاشية محي الدين زاده على البيضاوي (1/235) 0

(3) وهو حرف (إلى) وانظر الكلام عليه في :

الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص 385 0

وموسوعة الحروف د 0إميل يعقوب ص 106 0

وحروف المعاني للزجاجي ص 65 وص 79 0

ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ص 166

ومغني اللبيب لابن هشام (1/74) ومختصره للشيخ ابن عثيمين ص 24 وحاشية الدسوقي على مغنى اللبيب (1/79) 0

الحرف المقترن به ألا ترى إلى قوله تعالى : {عيناً يشرب بها عباد الله} [ الإنسان : 6] حيث كان معناها يروى بها (1) عباد الله لأن الفعل " يشرب " اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى فالفعل يضمن (2) معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام .

---

(1) ما ذكره المؤلف هو أحد الأقوال في المسألة وفيها أقوال أخرى هي :

I- أنها زائدة وهي بمنزلة يشربها واختار هذا القول ابن عطية في تفسيره (15/235)

II- ان الباء للتعدية بمعنى الاتصاف وضمن يشرب معنى يروى فعدى بها كما في تفسير الآلوسي (29/174) واختار هذا القول المؤلف 0

جـ- وقيل بمعنى ( من ) التبعضية والمعنى يشرب منها عباد الله وهذا اختيار الأصمعي كما في تفسير الطاهر بن عاشور ( 29/381) 0

وفي المسألة أقوال أخرى ، انظر :

الجمل (8/186) البحر المحيط (8/837) ، حاشية شيخ محي الدين زاده على البيضاوي (4/588) ، زاد المسير ( 8/430) ، الدر المصون (6/440) 0

(2)-التضمن :

لغة : مصدر تضمن الشيء : التزمه وغرمه 0

واصطلاحاً : إعطاء اللفظ معنى لفظ آخر وحكمه ويسمى أيضاً : التضمن النحوي ويقع التضمين في أبواب منها 0

في باب حروف المعاني وذلك يكون في ان يؤدي الحرف معنى حرف آخر مثل : " كتبت بالقلم " " الباء " معناها الاستعانة بالقلم ومثل قوله تعالى : { ذهب الله بنورهم } حملت الباء معنى التعدية فتعدى بواسطتها الفعل " ذهب " إلى مفعول به والتقدير : أذهب الله نورهم و مثل : " بعتك الزيت رطلاً بعشرين درهماً " فقد أدت " الباء " معنى التعويض أو التسعير ومثل :أمسكت بيد الأعمى " فقد أدت " الباء " معنى الإلصاق ومثل قوله تعالى : { عيناً يشرب بها عباد الله } فقد أدت " الباء " معنى التبعيض أي : منها أو يروى على الخلاف الذي سبق 0

انظر المعجم المفصل في النحو د 0 عزيزة فوال .

**المثال الخامس والسادس : (1)

قوله تعالى في سورة الحديد : { وهو معكم أينما كنتم } [ الحديد : 4] وقوله في سورة المجادلة {ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا } [ المجادلة : 7]

والجواب : أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره ولكن ما حقيقته وظاهره .؟

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم ؟

أو يقال : إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه.على عرشه فوق جميع خلقه ؟

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق ولا يدل عليه بوجه من الوجوه وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله عز وجل وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة

في المكان وإنما تدل على مطلق مصاحبة ثم تفسر في كل موضع بحسبه (2)

---

(1) مراده ذكر آيتين وليس مثالين متغايرين .

(2) قال الراغب في المفردات (2/608) :

مع : يقتضي الاجتماع إما في المكان نحو هما معاً في الدار أو في الزمان نحو ولدا معاً ، وإما في الشرف والرتبة نحو : هما معاً في العلو ويقتضى معنى النصرة ، وأن المضاف إليه لفظ مع هو المنصور نحو قوله : {لا تحزن إن الله معنا } [ التوبة : 40] أي : الذي مع يضاف إليه في قوله الله معنا هو منصور أي ناصرنا وقوله : { ان الله مع الذين اتقوا } [ النحل : 128] =

وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول و الاختلاط باطل من وجوه :

الأول : أنه مخالف لإجماع السلف فما فسرها أحد منهم بذلك بل كانوا مجمعين على إنكاره (1) 0

الثاني : أنه مناف لعلو الله الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما يثبت به ذلك المنافي وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف 0

الثالث : أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه وتعالى ولا يمكن لمن عرف الله تعالى

وقدره حق قدره وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن يقول إن حقيقة معية الله

---

= { وهو معكم أينما كنتم } ب الحديد : 4] { إن الله مع الصابرين } [ البقرة : 153] ، { أن الله مع المتقين } [ البقرة : 194] وقوله عن موسى : { إن معي ربي } [الشعراء : 62] ا0هـ

وقال السمين في عمدة الحفاظ (4/115) : { والله مع الصابرين } ونحوه فالمراد الصحبة بالمعونة والإثبات ا0هـ .

وأطلق أئمة اللغة العربية على أن المراد من المعية الصحبة ثم يفسر في كل موضوع بحسبه ويراجع في ذلك :

الجوهري في الصحاح (3/1286) ، وابن سيدة في المحكم ( 1/55) وابن منظور في اللسان (13/144) والفيروز آبادي في المحيط ص 987 ، وشرحه للزبيدي (5/514) 0

(1) وقد أجمع المفسرون على ان المراد بذلك العلم والقدرة أو الحراسة والحفظ ولم يقل أحد أن الله معنا بذاته .

قال الطبري في تفسيره (13/14) : هو فوق العرش وعلمه معهم ا0هـ

وللنظر في أقوال المفسرين يرجع إلى :

لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم فضلاً عن أن تستلزم ذلك ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة جاهل بعظمة الرب جل وعلا .

فإن تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني وهو أن الله تعالى مع خلقه معية

تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه .

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب لأنهما حق ولا يكون ظاهر الحق إلا حقاً ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص(103) ج(5) من مجموع الفتاوى لابن القاسم : " ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال : { يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها } [ الحديد : 4] إلى قوله {وهو معكم أينما كنتم } [ الحديد : 4] دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم شهيد عليكم

---

= النسفي (3/447) ، وأبي حيان (8/217) والرازي ( 29/187) ، وابن كثير (6/98) والخازن (4/246) وابن عاشور (27/364) ، والشربيني (4/225) ، وابن الجوزي (8/161) ، والماوردي (5/470) والآلوسي (27/168) ، والبغوي (4/294) ، و الثعالبي (3/293) ، وحاشية محي الدين شيخ زاده (4/465) ، والجمل على الجلالين ( 9/440) ، والقرطبي (17/290) ، والشهاب على البيضاوي (9/121) ، وصديق حسن خان (14/19)

وقال ابن عطية في تفسيره (15/286) ، ان الأمة أجمعت على هذا التأويل ا0هـ

ولا يخفى ان كان مراده من التأويل هنا صرف اللفظ عن ظاهره وهو أن يكون الله معنا بذاته فلا شك أن هذا ليس ظاهراً وقد سبق ان الظاهر هو ما يتبادر إلى الذهن وهو يختلف بحسب السياق ، وان كان مراده بالتأويل التفسير فهذا حق .

ومهيمن عالم بكم وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه (1) وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته وكذلك في قوله : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ] إلى قوله : { هو معهم أينما كانوا } [ المجادلة :7]

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار : "لا تحزن إن الله معنا " كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد " 0

ثم قال : " فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها " ا0هـ (2)

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق أن الله تعالى ذكرها في آية

المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها فقال : { ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم } [ المجادلة : 7] فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض .

---

(1) كان هذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه لأنه إذا كان معلوماً أن الله تعالى معنا مع علوه لم يبق إلا أن يكون مقتضى هذه المعية أنه تعالى عالم بنا مطلع شهيد مهيمن لا أنه معنا بذاته في الأرض ، قاله المؤلف .

(2) انظر شرح الواسطية لزيد بن فياض ص 203 0

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه

وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد فقال : { هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصير } [ الحديد : 4] (1)

فيكون ظاهر الآية أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه لا أنه سبحانه مختلط بهم ولا أنه معهم في الأرض وإلا لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه .

فإذا تبين ذلك علمنا أن مقتضى كونه تعالى مع عباده أنه يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم ويرى أفعالهم ويدبر شؤونهم فيحيى ويميت ويغنى ويفقر ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه لا يحجبه عن خلقه شيء ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة (2)0

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص (142) جـ (3) من مجموع الفتاوى لابن قاسم في فصل الكلام على المعية قال : " وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة " ا0هـ (3)

---

(1) انظر فتح البيان لصديق حسن خان (13/398) .

(2) وقد سبق ان المعية في اللغة العربية لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان .

(3) انظر شروح الواسطية على هذه الآية 0

## وقال في الفتوى الحموية ص(102-103) جـ(5) من المجموع المذكور :

---

= وسئل الشيخ ابن عثيمين :

هل أحد سبق شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في أن المعية حقيقية تليق بالله ينزه فيها الباري عن أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم ؟ وعن الحديث القدسي " وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ....." ؟ وعن قول ابن القيم في الصواعق - مختصرها - " فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته " هل هو صحيح وهل سبقه أحد من ذلك ؟

فأجاب فضيلته بقوله :لا أعلم أحداً صرح بذلك لكن الذي يظهر أن الكلام فيها كغيرها من الصفات تفهم على حقيقتها مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به كما يفهم الاستواء والنزول وغيرهما ولهذا لم يتكلم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذات في الاستواء والنزول أي لم يقولوا استوى على العرش بذاته أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته لأن ذلك مفهوم من اللفظ فإن الفعل أضيف إلى الله تعالى إما إلى الاسم الظاهر أو الضمير ، فإذا أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله - عز وجل - لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات وكذلك لما حدث القول بالحلول وشَبَّه القائلون به بآيات المعية بَيَّن السلف بطلان تلبيسهم وأنه لا يراد بها أنه معهم بذاته مختلطاً بهم كما فهم أولئك الحلولية وأن المراد بها بيان إحاطته بالخلق علماً وذكروا العلم لأنه أهم الصفات متعلقاً ولأنها جاءت في سياقه .

والمهم أن هذه المسألة كغيرها من مسائل الصفات تجرى على ظاهرها على ما يليق بالله - عز وجل - وما ورد عن

السلف فإنه داخل في معناها لأنه من لوازمه واقتصروا عليه خوف المحذور وإلا فلا يخفى أن حقيقة المعية أوسع من العلم وأبلغ ، ولظهور هذه المسألة وأنها لم تخرج عن نظائرها لم يكن فيها كلام عن الصحابة – رضي الله عنهم – اللهم إلا ما ذكر عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ، قال هو على العرش ، وعلمه معهم ، ثم اشتهر ذلك بين السلف حين انتشر تفسير الجهمية لها بالحلول .

واما سؤالكم عن الحديث القدسي : " وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " فأنت ترى أن

وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبته مثل أن يقول القائل : ما في الكتاب والسنـة من أن الله فـوق العرش يخالفـه الظاهـر من قوله

---

= الله تعالى ذكر في الحديث عبداً ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه ، ومحباً ومحبوباً وسائلاً " ومسئولاً ومعطياً ومعطى ومستعيذاً ومستعاذاً به ومعيذاً ومعاذاً فالحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر فإذا كان كذلك لم

يكن ظاهر قوله كنت سمعه وبصره ويده ورجله أن الخالق يكون جزءاً من المخلوق أو صفاً فيه تعالى الله عن ذلك وإنما ظاهره وحقيقته أن الله تعالى يسدد هذا العبد في سمعه وبصره وبطشه ومشيه فيكون سمعه لله تعالى إخلاصاً وبه استعانة وفيه شرعاً واتباعاً وهكذا بصره وبطشه ومشيه .

وأما سؤالكم عن قول ابن القيم في الصواعق ( مختصرها ) فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته فهل يصح ؟ وهل سبقه أحد في ذلك ؟

فإن ابن القيم يرحمه الله تعالى قاله أخذاً بظاهر قوله تعالى : {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} فهذه الضمائر (عبادي ) (عني ) (فإني ) (قريب ) (أجيب ) (دعان ) ( لى ) (بي) كلها تعود إلى الله – عز وجل – فكما أنه نفسه المعبود المسئول عنه المجيب لدعوة الداعي الواجب الإيمان به فهو القريب كذلك ولا يلزم من ذلك الحلول لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته فهو قريب في علوه .

وقد سبقه إلى مثل ذلك شيخه شخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله تعالى – حيث قال في شرح النزول ص(508) جـ 5 من مجموع الفتاوى :

" ولهذا لما ذكر الله سبحانه قربه من داعيه وعابديه قال { وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان } فهنا هو نفسه سبحانه القريب الذي يجيب دعوة الداع " إلى أن قال ص(510) " وأما قرب الرب قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكلابية ، ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك ، وكذلك كثير من أهل الكلام " ا0هـ =

تعالى : { وهو معكم } وقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه " ( 1 ) 0

ونحو ذلك فإن هذا غلط وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى : { هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير } [ الحديد : 4] 0

فأخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال (2) : " والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه " (3) ا0هـ 0

---

= ملاحظة : نقلنا فتوى الشيخ زيادة على موطن الشاهد لأن الباقي من الفتوى سيأتي في الأمثلة.

(1) رواه البخاري كما طبعة في الفتح (1/307) ومسلم كما في طبعة شرح النووي (5/38)

(2) الأوعال : جمع وعل : وهو تيس الجبل وأراد بالأوعال : الأشراف والرؤوس شبههم بها لأنها تأوي إلى شعف الجبال ، ومنه قول أبي هريرة :لا تقوم الساعة حتى تعلو التحوت وتهلك الوعول قيل وما التحوت ؟ قال : سفول الرجال وأهل البيوت الغامضة والوعول : أهل البيوت الصالحة ا0هـ من حاشية الحموية للتويجري ص 221

(3) هذا الحديث المعروف بحديث " الأوعال " قد كثر الكلام حوله وأخرجه الأئمة في دواوينهم ونصه : عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت سحابة فنظر إليها فقال : " ما تسمون هذه ؟ قالوا : السحاب . قال " والمزن " قالوا : والمزن قال " والعنان " قالوا والعنان " قال : " هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض ؟ قالوا :لا ندري . قال : " إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك " حتى عدد سبع سموات : " ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء وسماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء وسماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك " 0

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوه ثلاثة

الأول : أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما .

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين

لك لقوله تعالى : { أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً } [ النساء : 82] فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في

العلم الذين يقولون :{ آمنا به كل من عند ربنا}[ أل عمران : 7] وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق : " كما جمع الله بينهما " وكذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق لابن الموصلي ص (410) ط الإمام في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز قال : " وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه وقرن

---

=- الحديث رواه داود (5/93) رقم 4723، كتاب السنة ، باب في الجهمية . وهذا لفظه

- والترمذي (5/424) رقم (332) كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحاقة وقال هذا حديث حسن غريب 0

- وابن ماجه (1/69) رقم 193 ، المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية .

0- وأحمد (1/206-207) 0

٦- وابن أبي عاصم في " السنة " (1/254) رقم 578 0

٨- وابن أبي شيبة في كتاب " العرش " ص 55 0

٩- ورواه ابن خزيمة في " التوحيد " (1/334) 0

١٠- والدرامي في " الرد على الجهمية ) ص 24 0

١١- والأجري في " الشريعة " ص 292 0

واللالكائي في : اعتقاد أهل السنة " (3/390) رقم 651 0

بين الأمرين كما قال تعالى – وذكر آية سورة الحديد – ثم قال : " فأخبر أنه خلق السموات والأرض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال : " والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه " فعلوه لا يناقض معيته ومعيته لا تبطل علوه بل كلاهما حق" ا ٥ هـ

الوجه الثاني : أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا ولا يعد ذلك تناقضاً ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من

---

=- والحاكم في " المستدرك " (2/287،500) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد أسند هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيب بن خالد الرازي ، والوليد بن أبي ثور ، وعمرو بن ثابت بن أبي المقدم عن سماك بن حرب ، ولم يحتج الشيخان بواحد منهم ، وقد ذكرت حديث شعيب بن خالد إذ هو أقربهم إلى الاحتجاج به ا٥هـ

٨- والبيهقي في " الأسماء والصفات " (2/142) ٥

٩- والعقيلي في " الضعفاء " (2/284)٥

١٠- وابن عبدالبر في " التمهيد " (7/140) ٥

١١- والحافظ أبو نعيم في " أخبار أصبهان " (2/2) ٥

١٢- والمزي في " تهذيب الكمال " (2/719) ٥

٣- وأبو العلاء الهمذاني في " ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف " ص 67-68 رقم 19 0

٤- وابن الجوزي في " العلل المتناهية " (1/8) وقد رواه من طريقين وقال : هذا حديث لا يصح ا0هـ

وقال الحافظ المنذري بعد أن ذكر الحديث : وفي إسناده بن أبي ثور ولا يحتج بحديثه ا0هـ مختصر سنن أبي داود (7/93) 0

ورد شيخ الإسلام على من طعن في هذا الحديث ا0هـ من حاشية الحموية للتويجرى ص 0224

باب أولى وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص (103) المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن قاسم حيث قال : " وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة " ا0هـ

وصدق رحمه الله تعالى فإن من كان عالماً بك مطلعاً عليك مهيمناً عليك يسمع ما تقول ويرى ما

تفعل ويدبر جميع أمورك فهو معك حقيقة وإن كان فوق عرشه حقيقة لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان .

الوجه الثالث : أنه لو فرض اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى :{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } [ الشورى : 11 ] 0

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ص (143) ج (3) من مجموع الفتاوى حيث قال : " وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علىّ في دنوه قريب في علوه " ا0هـ (1)

---

---

---

(1) انظر شرح الواسطية لكل من
الشيخ عبدالعزيز الرشيد ص 217، وزيد بن فياض ص 274
وصالح الفوزان ص 0134

( تتمة ) انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقه ثلاثة أقسام :

القسم الأول يقولون : " إن معية الله تعالى لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة مع ثبوت علوه بذاته واستوائه على عرشه " وهؤلاء هم السلف ومذهبهم هو الحق كما سبق تقريره .

القسم الثاني يقولون : " إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع نفى علوه واستوائه على عرشه " .

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم ومذهبهم باطل منكر أجمع السلف على بطلانه وإنكاره كما سبق .

القسم الثالث يقولون : " إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه " ذكر هذا (1) شيخ الإسلام ابن تيمية ص (229) ج (5) من مجموع الفتاوى .

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو وكذبوا في ذلك فضلوا فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول لأنه باطل ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله باطلاً .

( تنبيه ) اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً

---

(1) أي هذه الأقوال وليس معنى ذلك أنه اختيار شيخ الإسلام لأن هذا القول غلطه شيخ الإسلام كما في (5/230) وانظر الأقوال في مجموعة الرسائل والمسائل (1/69) 0

وبصراً وقدرة وتدبيراً ونحو ذلك من معاني ربوبيته ( 1 ).

---

(1) وقد سبق أن نقلنا أقوال المفسرين في ذلك 0

ملاحظة : بقى قسم رابع لم يذكره المؤلف وهو قول المعطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا محايث انظر الروضة الندية ص 279 0

وفي نوازل العلمي (3/293) :

وسئل سيدي أحمد بن جلال عن مسألة وهي : هل نقول المولى تبارك وتعالى لا داخل في العالم ولا خارج ؟

قال السائل : هذا سمعته من بعض شيوخنا واعترضه بأن هذا رفع للنقيضين وقال بعض شيوخنا في هذه المسألة هو الكل أي الذي قام به كل شيء وزعم أنه للإمام الغزالي وأجاب بعضهم بأن هذا السؤال معضل ولا يجوز السؤال عنه وزعم ان ابن مقلاش هكذا أجاب عنه في شرحه للرسالة .

فأجاب : بأنا نقول ذلك ونجزم به ونعتقد أنه لا داخل العالم ولا خارج عن العالم والعجز عن الإدراك إدراك لقيام الدلائل الواضحة على ذلك عقلاً ونقلاً أما النقل فالكتاب والسنة

والإجماع أما الكتاب فقوله عز وجل : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } فلو كان داخل العالم أو خارجا عنه لكان مماثلاً بيان الملازمة واضح أما الأول فلانه إن كان فيه صار من جنسه فيجب له ما وجب له

وأما الثاني فلانه إن كان خارجاً لزم إما اتصاله وإما انفصاله وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية وذلك يؤدي إلى افتقاره إلى مخصص وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم : " كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه " وأما الإجماع فأجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام والاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقط لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين وتواردا عليه ، وأما حيث لا يصح تواردهما على المحل ولا يمكن الاتصاف بأحدهما فلا تناقض كما يقال مثلاً الحائط لا أعمى ولا بصير فلا تناقض لصدق النفيين فيه لعدم قبوله لهما وكما يقال الباري لا فوق ولا تحت وقس على ذلك ا0هـ

وهذه هي عقيدة متأخري الأشعرية ولن يوصف المعدوم بوصف أبلغ من هذا الوصف الذي وصفوا به الخالق جل وعلا كما قال محمود بن سبكتكين ت في غزنة سنة 422هـ .

( تنبيه آخر ) أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع .

¬ "" أما الكتاب : فقد تنوعت دلالته على ذلك (1) 0

¬- فتارة بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش وكونه في السماء كقوله تعالى : { وهو العلي العظيم } [ البقرة : 255] { وهو القاهر فوق عباده } [ الأنعام : 18 ] { الرحمن على العرش استوى }

[ طه : 5] { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض } [ الملك : 16] وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه كقوله : { إليه يصعد الكلم الطيب } [ فاطر : 10] { تعرج الملائكة والروح إليه } [ المعارج : 4] { إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي } [ آل عمران : 55] 0

- وتارة بلفظ نزول الأشياء منه ونحو ذلك كقوله تعالى : { قل نزله روح القدس من ربك } [ النحل : 102] { يدبر الأمر من السماء إلى الأرض } [ السجدة : 5] 0

- وأما السنة : فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر وعلى وجوه متنوعة كقوله صلى الله عليه وسلم في سجوده : " سبحان ربي الأعلى " (2) 0

---

(1) انظر ذلك في الروضة الندية لزيد بن فياض ص 137 وقد فصلها الإمام ابن القيم في النونية 0

(2) رواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (5/63) 0.

وقوله : " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي"(1) وقوله :"ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"(2) وثبت عنه

أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول :"اللهم أغثنا" (3) وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال : " اللهم اشهد " (4) وأنه قال للجارية : "أين الله" قالت في السماء فأقرها وقال لسيدها : "اعتقها فإنها مؤمنة" (5)

٦٨ وأما العقل : فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص والعلو صفة كمال والسفل نقص فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده .

٦٨ وأما الفطرة : فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية فما من داع أو خائف فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة 0

واسأل المصلين يقول الواحد منهم في سجوده : " سبحان ربي الأعلى " أين تتجه قلوبهم حينذاك .

* وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه وكلامهم مشهور في ذلـك نصاً

---

(1) رواه البخاري المطبوع مع الفتح (13/415) ومسلم المطبوع مع شرح النووي (17/67) .

(2) رواه البخاري المطبوع مع الفتح (7/666) 0

(3) رواه مسلم في صحيحه مع شرح النووي (7/192) .
(4) رواه البخاري مع الفتح (2/585) ، و مسلم مع شرح النووى (8/184 ) 0
(5) رواه مسلم مع شرح النووي (5/24) 0

وظاهراً قال الأوزاعي : " كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات (1) وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه واجتالته الشياطين عن فطرته نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً وأحق الأشياء وأثبتها واقعاً .

( تنبيه ثالث ) اعلم أيها القارىء العزيز أنه صدر منى كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه ذكرت فيها : أن عقيدتنا أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم بل هو العلي بذاته وصفاته وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك

عنها وأنه مستو على عرشه كما يليق بجلاله وأن ذلك لا ينافي معيته لأنه تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } [ الشورى :11] 0

وأردت بقولي ( ذاتية ) توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى 0

---

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (2/150) 0

ج- والذهبي في السير (120/7-121) وذكره الذهبي في " العلو " ص102) من رواية الحاكم ، وانظر المختصر ص137-138 ورواه في " تذكرة الحفاظ " (181/1-182) وحكم عليه بالصحة وذكره في كتابه " الأربعين " ص81 0

د- وصححه شيخ الإسلام أيضاً في الحموية ص(299) وانظر : درء تعارض العقل والنقل (6/262) وكذا ابن القيم في اجتماع الجيوش ص31 0

هـ- وذكره الحافظ في الفتح (13/406) وجود إسناده اهـ من حاشية الحموية للتويجري .

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض (1) كيف وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى إنه سبحانه منزه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم وأنه العلي بذاته وصفاته وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد :

" ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة وأئمتها " ا0هـ

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض .

وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره . وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة (الدعوة ) التي تصدر في الرياض نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404هـ أربع وأربعمائة وألف برقم ( 911) قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن : معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق فضلاً عن

---

(1) وفي هذا رد صريح على ما قاله الشيخ على بن عبدالله الحواس في كتابه النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعية الالهية الحقيقية وهو رد على من قال ان معية الله لخلقه معية ذاتية المطبوع سنة 1404هـ وكان رداً على المؤلف وقد قال في ص 6 ان هذا القول وصمة كبيرة وزلة خطيرة وفي ص 7 ان هذا قول أهل البدع وكذا قال في ص 15 ولا أدري كيف اشتط به القلم مع ان كلام المؤلف صريح في إنكار ذلك وهو ما قرره أيضاً في خاتمة كتاب التويجري (إثبات علو الله على خلقه ) ص 157 0

أن يستلزمه ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية ) (1) وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية .

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض أو اختلاطه بمخلوقاته أو نفي علوه أو نفي استوائه على عرشه أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان وبأي لفظ كانت .

وكل كلام يوهم – ولو عند بعض الناس – ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلا يظن بالله تعالى ظن السوء لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل

---

(1) انظر سبب ذلك في المقال المنشور آخر هذا الكتاب .

المثال السابع والثامن (1)

قوله تعالى : } ونحن أقرب إليه من حبل الوريد { [ ق : 16 ]

وقوله : }ونحن أقرب إليه منكم { [ الواقعة : 85 ]

حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة (2) 0

---

(1) من الأمثلة التي استشكلها المؤولة واتهموا أهل السنة بالتأويل فزعموا أن أهل السنة الذين أثبتوا صفات الله على ظاهرها يتناقضون فيؤولون أحياناً بعض النصوص

(2) اختلف المفسرون في هذه الآية :

I- ان المراد بذلك الملائكة وهذا اختيار الطبري (13/209) وابن كثير (6/91)

وانظر فتاوى محمد بن ابراهيم أل الشيخ مفتي المملكة رحمه الله (1/211)

II- أن المراد به العلم أو القدرة 0

وهذا اختيار ابن عطية (13/539) وصديق حسن خان (13/387) والبيضاوي مع الشهاب (8/574) والآلوسي (13/387) ، وابن عاشور (26/300) ، والشربيني (4/83)والثعالبي (3/222) والقرطبي (17/9) وأبي حيان في البحر (8/123) والنسفي (3/364) و الماوردي (5/347) ، والجمل (7/262) 0

ج_ وممن ذكر القولين في المسألة :

ابن الجوزي في زاد المسير (9/155) ، محي الدين شيخ زادة على البيضاوي (4/466) ، والخازن (4/223) ، والبغوي (4/291) ، والثعالبي (3/289) ، والشوكاني (5/230) 0

ملاحظة : لم يفسر أحد القرب في هذه الآية بالقرب الذاتي لان ذلك مستحيل في حق الله كما سيذكر المؤلف وأما ما ذكره الشيخ عبداللطيف كما في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ( 3/306) ان هذا القرب لا ينافي علو الله فلم يقصد القرب الذاتي قطعاً بدليل قوله إن القائل ان الله بذاته في كل مكان هو جهمي ا0هـ

وقال شيخ الإسلام في الفتاوى (5/501) :

" أنفسنا منا وهو بذلك أقرب إلينا من حبل الوريد وكيف لا يكون كذلك وهو أعلم بما توسوس به أنفسنا منا فكيف بحبل الوريد ؟ ! وكذلك قال ابو عمرو الطلمنكي قال : ومن سأل عن قوله : { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } فاعلم أن ذلك كله على معنى العلم به والقدرة عليه والدليل من ذلك صدر الآية فقال الله تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ) لأن الله لما كان عالماً =

والجواب : أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره .

أما الآية الأولى : فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك (1) حيث قال : { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } [ ق : 16-18] ففي قوله { إذ يتلقى } [ ق : 17] دليل على أن المراد به قرب الملكين

---

= بوسوسته ، كان اقرب إليه من حبل الوريد ، وحبل الوريد لا يعلم ما توسوس به النفس

ويلزم الملحد على اعتقاده أن يكون معبوده مخالطاً لدم الإنسان ولحمه ، وأن لا يجرد الإنسان تسمية المخلوق حتى

يقول : خالق ومخلوق ، لأن معبوده بزعمه داخل حبل الوريد من الإنسان وخارجه فهو على قوله ممتزج به غير مباين له .

قال : وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه وتعالى الله عن قول أهل الزيغ ، وعما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال : وكذلك الجواب في قوله فيمن يحضره الموت { ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون } أي بالعلم به والقدرة عليه إذ لا يقدرون له على حيلة ولا يدفعون عنه الموت وقد قال تعالى : { توفته رسلنا وهم لا يفرطون } وقال تعالى : { قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم } 0

قلت : وهكذا ذكر غير واحد من المفسرين مثل الثعلبي وأبى الفرج ابن الجوزي وغيرهما في قوله : { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } وأما في قوله { ونحن أقرب إليه منكم } فذكر أبو الفرج القولين : انهم الملائكة وذكره عن أبي صالح عن ابن عباس وأنه القرب بالعلم وهؤلاء كلهم مقصودهم انه ليس المراد ان ذات الباري جل وعلا قريبة من وريد العبد ومن الميت ولما ظنوا ان المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية ولا حاجة إلى هذا فإن المراد بقوله { ونحن أقرب إليه منكم } أي بملائكتنا في الآيتين وهذا بخلاف لفظ المعية فإنه لم يقل ونحن معه بل جعل نفسه هو الذي مع العباد وأخبر انه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا وهو نفسه الذي خلق السموات والأرض وهو نفسه الذي استوى على العرش فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما . ا0هـ

(1) أي قرب الملائكة 0

المتلقين (1) 0

وأما الآية الثانية : فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة لقوله تعالى : { حتى إذا جاء أحدكم الموت

توفته رسلنا (2) وهم لا يفرطون } [ الأنعام : 61] ثم إن في قوله : { ولكن لا تبصرون } [ الواقعة : 85] دليلاًبيناً على أنهم الملائكة إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى (3) 0

## بقى أن يقال فلماذا أضاف الله القرب إليه وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة ؟ (4) 0

فالجواب : أضاف الله تعالى قرب الملائكة إليه لأن قربهم بأمره وهم جنوده ورسله (5) 0

---

(1) لأنه قيد القرب بالظرف أي نحن أقرب إليه وقت تلقي الملكين .

(2) أي الملائكة فهم الذين يحضرون الوفاة

(3) أي يستحيل أن يكون الله بذاته عند الميت .

(4) هنا سؤالان يردان على من فسر القرب في الآية بقرب الملائكة :

I- لماذا أضاف الله القرب إليه ؟

II- هل ورد مثل هذا التعبير في القرآن؟

(5) وهو جار في اللغة العربية فإن الملك يأمر جنوده بالغزو فإذا تم الانتصار يقول : انتصرنا وهزمنا العدو وهو لم يخرج من قصره ، وكذلك يقول : نحن عمرنا المساجد والملك لم يباشر 0

وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة كقوله تعالى : { فإذا قرأناه فاتبع قرآنه } (1) [ القيامة : 18] فإن المراد به قراءة

جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى

صحت إضافة القراءة إليه تعالى ، وكذلك جاء في قوله تعالى : { فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط }[ هود : 74] وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى (2) 0

---

(1) اختلف المفسرون في المراد من هذه الآية على ثلاثة أقوال :

I- فإذا بيناه فاعمل بما فيه .

II- إذا أنزلناه فاستمع قرآنه .

III- أن المراد قراءة الملك والرسول عنا وعليه أكثر المفسرين .

انظر تفسير الماوردي (6/156) ، ابن عطية (15/216) ،الثعالبي (3/415) ، زاد المسير (8/422) .

(2) انظر تفسير السعدي (2/379) ، واختلفوا في الذي جادل به الملائكة على ثلاثة أقوال ذكرها الماوردي في تفسيره ( 2/486) .

** المثال التاسع والعاشر :

قوله تعالى عن سفينة نوح : { تجري بأعيننا } [القمر : 14] وقوله لموسى : { ولتصنع على عيني } [ طه : 39]

والجواب : أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا ؟ (1) 0

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى (2) 0

أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجرى وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها (3) 0

ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين :

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي (4) والقرآن إنما نزل بلغة العرب 0

---

(1) لقد سبق أن العبرة في فهم ظاهر النص هو السياق والقرائن فلابد أن يتتبع سبب النزول ثم القرائن والسياق 0

(2) هذا المعنى لا يتبادر أبداً لأي قارىء لكتاب الله

(3) ذكر الماوردي في تفسيره (5/412) ان للمفسرين أربعة أقوال في { تجري بأعيننا } وهي :

ا- بمرأى منا .

2- بأمرنا ، قاله الضحاك .

3- بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها .

4- بأعين الماء التي أتبعناها في قوله : { وفجرنا الأرض عيوناً } ، وقيل إنها تجري بين ماء الأرض والسماء ، وقد كان غطاؤها عن أمر الله سبحانه .

وذكر هذه الأقوال أبو حيان في البحر المحيط (8/176) والخازن (4/219) ، والسيوطي (17/133) ، وصديق حسن خان (13/293) 0

(4) إلا ان كان حملهم على ذلك نوع من العجمة وبها عابوا الكلام الفصيح لعجمتهم .

قال الله تعالى :{ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون }[ يوسف :2] وقال تعالى : { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين } [ الشعراء : 193-195] ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه ولا من قول القائل : فلان تخرج على عيني أن تخرجه كان وهو راكب على عينه (1) ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء (2) 0

الثاني : أن هذا ممتنع غاية الامتناع ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى لأن الله تعالى مستو على عرشه

---

(1) وانما أراد أنني كنت أحفظه وأرعاه إلى أن تخرج .

(2) وانما يفهم منه أن عينيه تصحبه بالنظر والرعاية لأن الباء هنا للمصاحبة وليست للظرفية وهذا هو بطلان كلامهم من الناحية اللفظية .

أما بطلانه من الناحية المعنوية : فإن من المعلوم أن نوحاً عليه الصلاة والسلام كان في الأرض ، وأنه صنع السفينة في الأرض ، وجرت على الماء في الأرض كما قال الله تعالى : { ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه } وقال : { فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر } 0

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن ظاهر اللفظ أن السفينة تجري في عين الله عز وجل لأن ذلك ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالى ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره وعلم أنه مستو على عرشه بائن من خلقه ليس حالاً في شيء من مخلوقاته ولا شيء من مخلوقاته حالاً فيه أن يفهم من هذا اللفظ هذا المعنى الفاسد .

وعلى هذا فمعنى الآية الذي هو ظاهر اللفظ أن السفينة تجري والله تعالى يكلؤها بعينه ا0هـ من تقريب التدمرية للمؤلف .

بائن (1) من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته ولا هو حال في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها

وهذا معنى قول بعض السلف : " بمرأى مني " (2) فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه ولازم المعنى الصحيح جزء منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام (3) 0

---

(1) لفظة ( بائن ) وان لم ترد في الكتاب والسنة ولم تكن معروفة في عهد الصحابة إلا أنه لما ابتدع الجهم وأتباعه القول بأن الله في كل مكان اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ الأئمة الأعلام بلفظ ( بائن ) دون أن ينكره أحد منهم .

وممن نص على ذلك عبدالله بن أبي جعفر الرازي،وعالم الرى هشام واسحاق بن راهويه عالم خراسان وذكره عن ابن المبارك وغير هؤلاء ممن ذكرهم الذهبي في مختصر العلو ونقله الألباني في مقدمته ص 18 وانظر أيضاً التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل للمعلمي (2/286) .

(2) وقد نص على ذلك الطبري (13/94) ، والبغوي (4/260) ، والثعالبي (3/265) ، وابن كثير (6/41) ونسب هذا المعنى إلى الجمهور الإمام ابن عطية في تفسيره (14/151) وجرى على هذا القول أيضاً : ابن الجوزي (9/93) ، الرازي (29/36) ، و النسفي (3/404) ، والسمين (6/227) ، والبيضاوي مع محي الدين شيخ زادة (4/421) ، والشهاب (9/31) ، والجمل (7/345) ، والشوكاني (5/175) ، والشربيني (4/146) والآلوسى (27/83) 0

(3) وإثبات العين من كون أن الله يحفظه بعينه من دلالة التلازم وقد سبق معناه .

ملاحظة :

I- يثبت المعطلة لازم المعنى وينفون الصفة

مثاله : ينفي الأشعرية صفة الرحمة ويثبتون لازمها وهو الإنعام وينفون صفة المحبة والغضب ويثبتون لازمها وهو الإحسان ، و الانتقام فإثبات المعطل لازم الصفة لا يكفي بل لابد أن يثبت الصفة 0

---

= فإذا كان من يقول ( بمرأى مني ) ينفي صفة العين كما نقلنا عن الذي جرى على هذا القول مع ان واقعهم لا يثبتون صفة العين من تفسيراتهم الأخرى فإن هذا من قبيل من ينفى الرحمة ويثبت الإحسان .

II- نستفيد من ذلك أن الذي يفسر آية باللازم لا يعني أنه معطل للصفة فلا يقال لمن فسر الرحمة بالإحسان أنه معطل حتى نعلم هل هو يثبت صفة الرحمة أم لا وهكذا في بقية الصفات .

## المثال الحادي عشر :

## قوله تعالى (1) في الحديث القدسي : " وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه "

والجواب : أن هذا الحديث صحيح رواه البخاري في باب التواضع الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق 0

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث وأجروه على حقيقته ولكن ما ظاهر هذا الحديث ؟

هل يقـال : إن ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولى وبصره ويده ورجله ؟ (2) 0

---

(1) لم يقل المؤلف قوله صلى الله عليه وسلم وانما قال : قوله تعالى ثم ساق الحديث القدسي وهذا يدل على أن الحديث القدسي كلام الله لفظاً ومعنى كالقرآن ولهذا يقال فيه : قال الله تعالى فلو كان اللفظ من عند الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقال : قال الله بل يقال قال الرسول صلى الله عليه وسلم 0

وهذا القول هو الذي ذهب إليه كثير من العلماء وذكروا الفروق بينه وبين القرآن وممن فصل في هذه المسألة واستفاض فيها القاسمي في قواعد التحديث ص 64 ، وأبو شهبة في الوسيط ص 216 0

والقول الثاني في تعريف الحديث القدسي هو أن اللفظ من عند النبي ومعناه من عند الله وهذا التعريف جرى عليه بعض العلماء ومنهم المؤلف حفظه الله في كتابه مصطلح الحديث ص 8 0

لكن القول الأول هو الأولى لأنه الظاهر وإنما مشى كثيرون على التعريف الثاني لأنهم لا يثبتون الكلام لله إلا معنى وليس منهم المؤلف قطعاً .

(2) لم يقل أحد أن الله يكون رجلاً للعبد ويداً للعبد وسمعاً للعبد 0

## أو يقال : إن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولى في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله ؟ (1)

---

(1) سيأتي شرح المراد من قوله { لله وبالله وفي الله } بعد ذلك 0

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (11/351) : وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره ..... الخ ؟

والجواب من أوجه :

أحدها : أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كتب سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح .

ثانيها : أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

ثالثها : المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره الخ 0

رابعها : كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه 0

خامسها : قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة : هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف ، والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك .....الخ 0

سادسها : قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكرى ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وبمعناه قال ابن هبيرة أيضاً وقال الطوفي : اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في الرواية " فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " قال : والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقال الخطابي : هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى =

**ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين :**

= ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله وإلى هذا نحا الداودي ومثله الكلاباذى وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه .

سابعها : قال الخطابي أيضاً : وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة وقال بعضهم : وهو متنزع مما تقدم لا يتحرك له جارحة إلا في الله ولله ، فهي كلها تعمل بالحق وللحق وأسند البيهقي في " الزهد " عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال : معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شيء وراءها وهو أن يكون قائماً بإقامة الله له محباً بمحبته له ناظراً بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تنغلق بأمر أو توصف بوصف ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ومحبته له حتى أحبه ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظراً إليه بقلبه وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق ، تعالى الله عن ذلك ، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدماً صرفاً في شهوده وإن لم تعدم في الخارج وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث " ولئن سألني ، ولئن استعاذني " فإنه كالصريح في الرد عليهم ا ٥هـ

وانظر شرح الحديث في شروح البخاري لكل من القسطلاني (13/586) ، السيوطي (8/3862) العيني (23/188) ، الكرماني (23/22) 0

ملاحظة : في كلام الحافظ ما يدل على ان ظاهر الحديث هو ان الله يكون سمع العبد ولهذا يترك الظاهر لكن قد ذكرنا أكثر من مرة أن الظاهر يفهم من السياق وما ذكره ليس هو الظاهر 0

الأول : أن الله تعالى قال : " وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه وقال : " ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " فأثبت عبداً ومعبوداً (1) ومتقرباً ومتقرباً إليه (2) ومحباً ومحبوباً وسائلا ومسؤولاً ومعطياً ومعطى ومستعيذاً ومستعاذاً به ومعيذاً ومعاذاً فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزائه .

الوجه الثاني : أن سمع الولى وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق (3) حادث بعد أن لم يكن ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير فكيف يسوغ أن يقال

إنه ظاهر الحديث القدسي وأنه قد صرف عن هذا الظاهر ؟ (4) سبحانك اللهم وبحمدك لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه تعين القول الثاني وهو أن الله تعالى يسدد هذا الولى في سمعه وبصره وعمله بحيث يكون إدراكه

---

(1) أي قال عبدي : ففيه عبد ومعبود .

(2) لأنه قال : يتقرب أي أن هناك من يتقرب ومن يتقرب إليه وهكذا 0

(3) كلام المؤلف يحتمل أمرين :

I- أن الأوصاف خاصة بالسمع والبصر ، والأجزاء خاصة باليد والرجل وأن فيها نشراً ولفاً مرتباً .

II- تحمل أن اليد والرجل أجزاء أما السمع والبصر فيمكن أن تكون أوصافاً ويمكن أن تكون أجزاء باعتبار الأذن والعين والمعنى الأول أقرب 0

(4) وقد سبق كلام الحافظ والشراح وفيه ما فيه .

بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً (1) وبالله تعالى استعانة (2) وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً (3) فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة وهذا غاية التوفيق وهذا ما فسره به السلف وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ موافق لحقيقته متعين بسياقه وليس فيه

تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره ولله الحمد والمنة .

---

(1) هذا هو المراد من قوله فيما سبق (يكون لله ) أي إخلاصاً 0

(2) أي المراد من قوله (بالله) أي يستعين بالله .

(3) أي أن المراد من قوله ( وفي الله ) أي متابعة الشرع .

** المثال الثاني عشر :

قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى (1) أنه قال : " من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشى أتيته هرولة "

وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (2) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد الباب الخامس عشر (3) 0

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية (4) بالله تعالى وأنه سبحانه فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان } (5) [ البقرة : 186 ] وقوله : { وجاء ربك والملك صفاً صفاً } (6) [ الفجر : 22 ] وقوله : { هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك

---

(1) سبق ان عبر المؤلف عن الحديث القدسي بقوله (قال الله تعالى في الحديث القدسي ) وهنا عبر بتعبير آخر وكل ذلك صيغ وطرق لرواية الحديث القدسي وانما أراد المؤلف من هذا التنويع تعليم الطالب 0

وانظر وسيط أبي شهبة ص 221 0

(2) انظر شروح مسلم :

للنووي (12/17) والسيوطي (50/6) والأبي والسنوسي ( 7/120) 0

(3) انظر فتح الباري (13/395) ، وشرح كتاب التوحيد للغنيمان (1/259) 0

(4) سبق معنى ذلك 0

(5) الشاهد من الحديث اثبات صفة الإجابة لله وهي صفة فعلية 0وكذلك فيها اثبات صفة القرب

انظر الصفات في الكتاب والسنة للسقاف ص 40 0

(6) الشاهد إثبات صفة المجىء .

أو يأتي بعض آيات ربك } (الأنعام : 158] (1) وقوله : { الرحمن على العرش استوى } [ طه : 5] (2) وقوله صلى الله عليه وسلم : " ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر " (3) وقوله صلى الله عليه وسلم : " ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه " (4) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى 0

فقوله في هذا الحديث : " تقربت منه وأتيته هرولة " (5) من هذا الباب .

---

(1) الشاهد إثبات الإتيان .

(2) الشاهد إثبات الاستواء .

(3) الشاهد إثبات النزول وقد سبق الحديث .

(4) الشاهد إثبات صفة الأخذ 0

والحديث رواه البخاري برقم 1410وانظر الفتح (3/326) ومسلم بشرح النووي (7/98) 0

(5) فنصف الله بالقرب والهرولة ولا يلزم من ذلك قطع المسافة أو شيء من لوازم المخلوق .

وقد ورد في الفتوى ( رقم 6932) من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (3/142) ما يلي :

س : هل لله صفة الهرولة ؟

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ... وبعد

ج: نعم صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به قال تعالى : " إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني ماشياً أتيته هرولة " رواه : البخاري ومسلم 0

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم 0 "

وقد وقع على هذه الفتوى كل من المشايخ : عبدالعزيز بن باز ، عبدالرازق عفيفي ، عبدالله بن غديان ، عبدالله بن قعود .

وفي " الجواب المختار لهداية المحتار " (ص 24) للشيخ محمد العثيمين قوله : " صفة الهرولة ثابتة لله تعالى كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم =

والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص(466) جـ (5) من مجموع الفتاوى : " وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستواءه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف

وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر " اهـ

فأى مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه ؟ وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟ .

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد على الوجه الذي به يليق ؟

وذهب بعض الناس (1) إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي : "

---

= عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي .....(فذكر الحديث وفيه : ) وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه ، فوجب علينا قبولها بدون تكييف ، لأن التكييف قول على الله بغير علم وهو حرام وبدون تمثيل لأن الله يقول : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } .

(1) ما ذكره المؤلف حفظه الله من ان المعنى الثاني للحديث هو كناية عن المجازاة بأفضل وأعظم مما يفعل العبد فهذا ما ذكره أكثر شراح الحديث مثل :

القرطبي في المفهم (7/15) ، والعيني على البخاري (25/101) والسيوطي في التوشيح (9/4279) ، والقسطلاني على البخاري (15/429) ، والحافظ في الفتح (13/522) وذكر الشيخ ابن عثيمين ان شيخ الإسلام يميل

إلى هذا الرأي ، وقد اعترض بعض الناس على المؤلف هذا القول واعتبر ان القول الأول هو قول السلف مع أن المؤلف اعتبر ان القولين للسلف بقوله حفظه الله في شرحه للبخاري ص 74 من المخطوط . =

**أتيته هرولة " يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب**

**إلى المساجد ومشاعر الحجج والجهاد في سبيل الله ونحوها**

---

= هذا الحديث : " وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت له باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " في هذه الجمل الثلاث بيان فضل الله عز وجل وأنه يعطي أكثر مما فعل من أجله أي يعطي العامل أكثر مما عمل وهذه القاعدة في ثواب الله عز وجل أنه يعطي أكثر مما فعل من أجله جاء في القرآن { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } { مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل } هذه الجمل الثلاث تدل على هذا المعنى العظيم وأن عطاء الله وثوابه أكثر من عمل العبد وكدحه يقول جل وعلا " إن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعاً " الشبر مسافة ما بين طرف الخنصر إلى طرف الإبهام عند مد اليد والذراع مسافة ما بين طرف الأصبع الوسطى إلى عظم المرفق وهذا هو الذي كان يقدر به سابقاً الشبر والذراع والباع وما أشبه ذلك وقوله : " إن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً " اختلف العلماء في معنى هذه الجملة وما بعدها :

فقيل إن هذا على حقيقته وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه ذراعاً وعلى هذا فيكون هذا القول في العبادات التي تحتاج إلي مشى كالسعي إلى المساجد والسعي إلى الحج وما

أشبه ذلك ويخرج العبادات التي لا يكون فيها مشى ولكنها كالتي تحتاج إلى مشى أي أن الله يعطي العامل أكثر مما عمل .

وقيل إن هذا على سبيل المثال وأن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه تقرب الله إليه على كيفية لا نعلمها ، نحن بأنفسنا نعلم كيف نتقرب إلى الله لكن تقرب الله إلينا لا نعلمه فالمعنى أن الإنسان إذا تقرب إلى الله بقلبه فإن الله تعالى يتقرب إليه على كيفية لا تعلم وذلك أن الإنسان يشعر بتقربه إلى الله بالقلب أحياناً يكون قلبه ذاكراً لله عز وجل فيشعر أنه قريب من الله عز وجل وأحياناً يكون غافلاً فالمعنى إذا تقرب الإنسان إلى ربه بالقلب ومن المعلوم ان العبادات تكون سبباً لتقرب القلب إلى الله عز وجل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " ولهذا وأنت ساجد بأنك قريب من الله وأن الله في السماء فيكون على هذا القول يكون هذا من باب ضرب المثل وليس على الحقيقة وهذا القول أحسن من الأول لأنه يشمل بدلالة المطابقة جميع العبادات والأول يختص بالعبادات ذات السعى والمشى وكذلك أيضاً قوله : " من تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً "=

**وتارة بالركوع والسجود ونحوهما . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه**

---

= أما قوله " وإن أتاني يمشى أتيه هرولة " فهذا أيضاً اختلف فيه العلماء هل هو على حقيقته أم لا ؟ فقيل إنه على حقيقته ونحن إذا مشينا نعرف كيف نمشى أما الله عز وجل فإننا لا نعرف كيفية مشيه ولا مانع من أن الله يمشي يقابل المتجه إليه فيقابله إذا أتاه يمشي يقابله بهرولة ويقال ان الذي يأتي سيأتي على صفة ما ولابد فإذا كان الله يأتي حقيقة فإنه لابد أن يأتي على صفة ما هرولة أو غير هرولة فإذا قال عن نفسه

أتيته هرولة قلنا ما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة إذا كنا نؤمن بأنه يأتي حقيقة ونحن نؤمن بأنه يأتي حقيقة فإذا كان يأتي حقيقة لابد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات فإذا أخبرنا بأنه يأتي هرولة قلنا آمنا بالله لكن كيف هذه الهرولة ؟ لا يجوز أن نكيفها ولا يجوز أن نتصورها هي فوق ما يتصور وفوق ما يتكلم به ولكن هذا القول يخص هذا الحكم بالعبادات التي يأتي إليها الإنسان مشياً وتبقى العبادات الأخرى التي يفعلها الإنسان وهو قائم في مكانه تبقى غير مذكورة في هذا الحديث لكنها بمعناها .

يقول هذا من باب التمثيل أي من أسرع إلى رضاي وإلى عبادتي أسرعت إلى ثوابه سرعة أكثر من سرعة عمله وهذا القول يشمل جميع العبادات لأن الإنسان يسرع إلى العبادة إسراعاً بالبدن وأحياناً يسرع بالقلب فقط وهو ثابت في مكانه فالمهم أن لعلماء السلف في هذه المسالة قولين هل نبقيها على ظاهرها وإن كان سيخرج عنا بعض العبادات إلا أنها تثبت بالقياس أو نقول إن هذا كناية عن أن فضل الله عز وجل أكثر من عمل العامل وكأن شيخ الإسلام رحمه الله يميل إلى هذا الرأي الأخير أنه من باب ضرب المثال ونؤيد هذا بأنه ليس جميع العبادات تحتاج إلى سعى ومشى وإبقاء الحديث على عمومه المعنوي في جميع العبادات أولى من كوننا نخصه في بعض العبادات التي لا تكون عشر العبادات الأخرى أي العبادات التي تحتاج إلى مشي قليل فكوننا نحمل الحديث على عموم العبادات ونجعل هذا من باب ضرب المثل وما زال الناس يضربون المثل في هذا يقول أنا إذا رأيتك تقبل على فسوف أعطيك بالخطوة خطوتين أو إذا أقبلت مشياً أقبل إليك مسرعاً أو إذا مشيت إلي بالأقدام أمشي إليك بالجفون وهذا أسلوب عربي معروف وما زال إلى يومنا هذا ، وبهذا يزول إشكال الحديث إن حملناه على الحقيقة لم يفتنا على هذا الحمل إلا

شيء واحد وهو العبادات التي لا تحتاج إلى مشي ولا إلى مسافة وإن حملناه على ضرب المثل عم جميع العبادات وهذا المثل معروف من أساليب اللغة العربية ا 0هـ .

وسلم : " أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد " (1) بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه كما قال الله تعالى : { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم } [ آل عمران : 191] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين : " صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب " (2) 0
قال : فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه .
وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية (3) لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل فلا يكون حجة لهم على أهل السنة ولله الحمد .
وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق (4) بمذهب السلف .

(1) رواه مسلم كما في شرح النووي (4/200)0

(2) انظر فتح الباري (2/684) 0

(3) القرينة الشرعية هي التي فهمت من السياق وقد وضح المؤلف ذلك في شرحه على صحيح البخاري كما سبق .

(4) في كلام المؤلف ما يدل على ان القول الثاني سليم لكن عدم التأويل اسلم ، وانه ظاهر ولائق لكن تركه أولى وأسلم وأليق لأن أفعل التفضيل يفيد المشاركة وزيادة وعلى كل حال ذكرنا السبب في هذا التأويل وهو القرينة وليس ذلك كتأويل المعطلة كما نسب بعض الناس ذلك للمؤلف بل نقول ان القول الثاني كتفسير المؤلف للأمثلة التي سبقت قبل هذا .

ويجاب عما جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى من أتاني يمشى (1) في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي والله تعالى أعلم .

---

(1) المشي قد يكون :

I- وسيلة إلى العبادة كالمشي للصلاة 0

II- قد يكون المشي من ماهية العبادة مثل الطواف والسعي 0

والخلاصة : ان الحدث خرج مخرج المثال من باب ضرب المثل وإلا فلو تقرب العبد إلى الله واقفاً أو مضطجعاً كان كالمشي 0

** المثال الثالث عشر : (1)

قوله تعالى :}أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً{ [ يس :71]

والجواب : أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه ؟ هل يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده ؟ (2) .

أو يقال : إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين :

أحدهما : أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به ألا ترى قولـه تعالى : { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم } [ الشورى : 33] وقوله : { ظهر الفساد في البر

والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعـون } [ الروم : 41] وقوله : { ذلك بما قدمت أيديكم } [ آل عمران : 182] .

فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده (3) بخلاف ما إذا قال : عملته بيدي (4) .

---

(1) من الأمثلة التي زعم المعطلة ان السلف يؤولون نصوص الصفات .

(2) هذا السؤال يوجه لمن يثبت اليد أما الذي ينفي اليد فإنه يناقش أولاً في إثبات اليد فإن أبى وقال أنا لا اثبت اليد لكن ألزمك بالتأويل لأنك في هذه الآية صرفتها عن ظاهرها فهنا نجيبه بما ذكره المؤلف .

(3) من جميع الجوارح فأرجلهم وآذانهم وفروجهم وانما خرج هذا مخرج الأمثال وان العمل أكثر ما يكون باليد لأنها هي التي يكتب ويضرب بها الإنسان ويقتل بها .

(4) فلو قال النجار : عملت هذا الكرسي بيدي لكان المعنى انه باشر العمل بيده .

كما في قوله تعالى : { فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله } [ البقرة : 79] فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد (1) .

الثاني : أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً (2) كما قال الله تعالى في آدم : { ما منعك أن

تسجد لما خلقت بيدي (3) [ ص : 75] لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية لقوله تعالى : { ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء } [ النحل : 89] .

وإذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها (4) ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كاضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدى بالباء فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات (5) من أجود أنواع العلم (6) وبه يزول كثير من الإشكالات (7) .

---

(1) فمدار الأمر على حرف الباء فان عدى الفعل بالباء دل على مباشرة اليد وان لم يعد بالباء لم يدل على المباشرة .
انظر شرح التدمرية لفالح آل مهدي ص 174 .

(2) أي يضيف الفعل ( خلق ) لنفسه ثم يتعدى الفعل بالباء .

(3) ولم يعترض إبليس على الرب عز وجل ولو كان المراد بذلك القدرة لقال إبليس : وأنا خلقتني بقدرتك .

(4) أي بقدرته .

(5) هذا من التشابه النسبي الذي يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض أما التشابه الحقيقي فلا يعلمه إلا الله ككيفية صفاته .
انظر تقريب التدمرية للمؤلف ص 94 ,

(6) وهو ليس خاصاً بالعقائد بل في الفقه أيضاً علم الفروق بين المتشابه من المسائل وقد صنف في كل مذهب وأشهره فروق القرافي .

(7) قال شيخ الإسلام في التدمرية ص 73 .

---

= ومما يشبه هذا [ القول ] أن يجعل اللفظ نظيراً لما ليس مثله كما قيل في قوله : { ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي } فقيل : هو مثل قوله : { أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً } فهذا ليس مثل هذا لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله : { فبما كسبت أيديكم } وهناك أضاف الفعل إليه فقال : { لما خلقت } ثم قال : { بيدي } ا هـ0

** المثال الرابع عشر : (1)

قوله تعالى : } إن الـذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم { [ الفتح : 10 ]

والجواب : أن يقال : هذه الآية تضمنت جملتين :

الجملة الأولى : قوله تعالى : { إن الذين يبايعونك (2) إنما يبايعون الله }

في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه كما في قوله تعالى : { لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } [ الفتح :18 ] .

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى : { إنما يبايعون الله } [ الفتح :10 ] أنهم يبايعون الله نفسه (3) ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ لمنافاته (4) لأول الآية والواقع (5) واستحالته في حق الله تعالى (6) .

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة له لأنه رسوله وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله لأنه رسوله المبلغ عنه كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى : { من يطع الرسول فقد أطاع الله ] [ النساء : 80 ] .

(1) من الأمثلة التي ادعى المعطلة ان السلف قد أولها .

(2) يعني بيعة الرضوان بالحديبية .

(3) أي أن الله يريده لهم فيبايعونه مباشرة بدون واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يمكن ان يفهم أحد هذا الفهم .

(4) أي هذا الذي ادعوا انه الظاهر .

(5) لان الواقع أن المبايعة وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(6) لأن هذا ينافي علو الله وهو وصف ذاتي لله وهو سبحانه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في الأرض فهذا عقيدة الحلولية وأما أهل السنة فيقولون ان الله بائن من خلقه .

وفي إضافة مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد .

الجملة الثانية : قوله تعالى : { يد الله فوق أيديهم } [ الفتح : 10 ] وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه فكانت يده فوق أيديهم (1) وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه سلم مبايعة الله عز وجل ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا

مباشرة لأيديهم ألا ترى أنه يقال : السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقه وعلوه عليهم .

---

(1) للمفسرين خمسة أقوال في الآية :

أحدها : يد الله في الوفاء فوق أيديهم .

والثاني : : يد الله في الثواب فوق أيديهم .

والثالث : يد الله عليهم في المنة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة ذكر هذه الأقوال الزجاج .

والرابع : قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ذكره ابن جرير وابن كيسان لكن إذا كان هذا المعنى مع إثبات اليد فإنه يكون من باب مرأى منا في الآية التي سبقت .

الخامس : ما اختاره المؤلف وهو الذي عليه السلف .

انظر الأقوال في تفسير :

ابن الجوزي (7/427) ، الطبري (13/76) ،ابن كثير (5/342) والآلوسي (26/96) والشهاب (9/521) وابن عطية (13/441) والشربيني (4/42) ، صديق حسن خان (13/93) ، والثعالبي (3/199) ، والبغوي (4/190) ، والجمل (7/212) ، وأبي حيان (8/156) ومحي الدين شيخ زاده (4/357) ، والشوكاني (5/68) .

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله :{ يد الله فوق أيديهم }[ الفتح : 10] يد النبي صلى الله عليه وسلم (1) ولا أن يدعى أن ذلك ظاهر اللفظ لأن

الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه ووصفها بأنها فوق أيديهم ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم بل كان يبسطها إليهم فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم .

---

(1) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان (9/92) ، والنسفي (3/335) .

** المثال الخامس عشر (1)

قوله تعالى في الحديث القدسي : " يا بن آدم مرضت فلم تعدني " الحديث

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم (43) ص(1990) ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي رواه

مسلم (2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا بن آدم مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت ان عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا بن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي " .

والجواب : أن السلف أخذوا بهذا الحديث لم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به (3) فقوله

---

(1) حيث زعموا ان ظاهر الحديث ان الله يجوع ويعطش ويمرض وان السلف أولوا الحديث .

(2) انظر شرح الحديث في :
النووي (16/125) ، والقرطبي (6/551) ، وشرح الأبي والسنوسي (7/24) .

(3) أشبه اللفظ العام إذا قرن به استثناء أو غاية أو صفة كقوله تعالى { فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً } ونحو ذلك فان الناس متفقون على أنه حينئذ ليس ظاهره ألفاً كاملة .
انظر موقف المتكلمين للغضن (2/821) .

تعالى : " مرضت واستطعمتك واستسقيتك " بينه الله تعالى بنفسه حيث قال : " أما علمت أن عبدي فلاناً مرض وأنه استطعمك عبدي فلان واستسقاك عبدي فلان " وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله واستطعام عبد من عباد الله واستسقاء عبد من عباد الله (1) والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو اعلم بمراده فإذا فسرنا المرض
المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث كقوله تعالى : { من ذا الذي يقرض الله } [ البقرة : 245]
وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلى الله

عليه وسلم وإنما يحرفونها بشبه باطلة هم فيها متناقضون مضطربون إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله – كما زعموا – لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث . ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال ,

---

(1) قال شيخ الإسلام في التدمرية ص 73:
وهذا صريح في ( أن ) الله سبحانه وتعالى لم يمرض ولم يجع ولكن مرض عبده وجاع عبده فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسراً ذلك بأنك ( لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، ولو عدته لوجدتني عنده ) فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل .

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراساً لغيرها (1) وإلا فالقاعدة
عند أهل السنة والجماعة معروفة وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها

---

(1) ونزيد مثالين على ما ذكر المؤلف كما ورد في كتاب موقف المتكلمين لسليمان الغصن (2/821) .
1- قوله تعالى : } ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله { [ البقرة : 115 ]

فقد ورد عن مجاهد أنه قال في تفسير هذه الآية : " قبلة الله فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجهن إلا إليها " .

وقد احتج النفاة بهذا على أن التأويل وارد عن السلف وذكروا ذلك في مناظرتهم لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ورد عليهم شيخ الإسلام بأن هذا قد صح عن مجاهد والشافعي وهو حق لكن الآية ليست من آيات الصفات حتى يجعل النافية تفسيرها بغير الصفة حجة لهم في موارد النزاع وبين أن من عدها في آيات الصفات فقد غلط ، وإن كان فيها ذكر الوجه فالمقصود به في الآية القبلة فإن الوجه في لغة العرب هو الجهة يقال : أي وجه تريد ؟ أي : أي جهة ؟ ويقال : قصدت هذا الوجه ، وسافرت إلى هذا الوجه أي : إلى هذه الجهة كما قال تعالى : { ولكل وجهة هو موليها } [ سورة البقرة : 148] وسياق الكلام في الآية يدل على المراد فإنه قال : ( ولله المشرق والمغرب ) والمشرق والمغرب جهات ثم قال : (فأينما تولوا فثم وجه الله ) و" أين " من الظروف ، و " تولوا " أي : تستقبلوا .

فالمعنى : أي موضع استقبلتموه فهنالك وجه الله فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله وأخبر ان الجهات له فدل على أن الإضافة إضافة تخصيص وتشريف كأنه قال : جهة الله وقبلة الله .

والغرض أنه إذا قيل : " فثم قبلة الله " لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه الذي ينكره منكرو تأويل آيات الصفات ولا هو مما يستدل به على المثبتة فإن هذا المعنى صحيح في نفسه والآية دالة عليه .

2- قوله تعالى : } يوم يكشف عن ساق { [ ن : 42]

فقد ورد عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : " هو الأمر الشديد المفضع من الهول يوم القيامة " وعن عكرمة نحو هذا التفسير =

على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

---

= وقد احتج بهذا نفاة الصفات من أهل التأويل وجعلوه من أدلتهم لتسويغ التأويل لآى الصفات .والجواب عن ذلك أن يقال : إن هذه الآية ليست صريحة في إثبات الساق صفة لله عز وجل ولذلك فسرها من فسرها من السلف بالكشف عن أمر شديد كما يقال كشفت الحرب عن ساق ، فليس هذا التفسير من باب تأويل الصفات ولذلك نجد السلف رحمهم الله يثبتون صفة الساق كما ورد في التصريح بها في حديث ابي سعيد في الصحيحين وفيه : " فيكشف عن ساقه " يعني الرب سبحانه وتعالى وهذا يدل على انهم لم يقصدوا تأويل الصفة وإنما فسروا الآية بما ظهر من معناها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال " يوم يكشف عن ساق " نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن ساقه ، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل ، وإنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف "

وبهذا يتبين لنا أنه لا حجة لنفاة الصفات من أهل التأويل فيما زعموه من أن السلف تأولوا بعض نصوص الصفات .

وقد ظهر مما سبق أن تفسيرات السلف لهذه النصوص موافقة لظواهرها اللائقة بالله تعالى وأن تفسيراتهم هذه قد دلت عليها القرائن الصحيحة المتصلة بالنص أو المنفصلة عنه .

وقد عرفنا فيما مضى أن كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم " إذا كان مجملاً وظاهراً وقد فسر معناه وبينه كلام آخر متصل به أو منفصل عنه فتفسيره بهذا الكلام الآخر

ليس فيه خروج عن كلام الله ورسوله ولا عيب في ذلك ولا نقص "

وليس هو من التأويل المذموم الذي هو مدار النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم من أهل التأويل فإن أهل التأويل المذموم يجعلون ظواهر كثير من الألفاظ الشرعية دالة على ما ليست بمدلولة له من الكفر والإلحاد ثم يريدون صرفها عنه فوقعوا في محذورين :

أحدهما : ظنهم الباطل في ظواهر النصوص الشرعية .

والثاني : تحريفهم لمعاني النصوص الحقيقية .

والمقصود أن التأويل ليس كله باطلاً بل منه ما هو باطل ومنه ما هو حق وهو ما توافرت فيه شروط التأويل الصحيح سواء سمى تأويلاً أو تفسيراً أو غير ذلك =

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات والحمد لله رب العالمين 0

---

= ومن أمثلته :

قوله تعالى : { الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } [النعام : 82] 0

فالتأويل الصحيح للظلم هنا هو الشرك كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن لقمان : { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } [ لقمان :13] وكما في الصحيح عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : لما نزلت : { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال الصحابة : " يعنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأينا لم يظلم ؟ فنزلت :{إن الشرك لظلم عظيم }

ومن هنا نعلم أن النصوص الشرعية يجوز تأويلها وذلك بتخصيص عمومها وتقييد مطلقها وبيان مجملها إذا توافرت في النص شروط التأويل الصحيح واعتمد على أدلة سليمة 0